سبل الارتقاء بتعليم العربية

د. محمد حسان الطيان

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

تمهيد

بات الكلام على تفشي الضعف لدى الطلبة في اللغة العربية من نافلة القول، إذ لم يعد يخفى على أحد ما تعانيه العربية على ألسنة أصحابها من ضعف وإهمال يصل ببعضهم إلى حد العجز، وقد عقدت لذلك مؤتمرات وألفت فيه كتب وحبرت مقالات، وأحببت أن أدلي بدلوي بين الدلاء، لعلي أسهم في رأب هذا الصدع، ببعض ما تبين لي من مقترحات من خلال تجربة في تدريس العربية تمتد إلى نحو من أربعين عاما[1].

وأنا لا أزعم هنا أن للتعليم والتدريس –كغيره من العلوم والفنون والحرف – قواعد مضبوطة وأحكاما متبعة، إذا درسها المرء وتتبع سننها أفضت به إلى الغاية وجعلت منه المدرس المثالي، لا، بل هي تنبيهات وإشارات ترشد إلى السبل التي تعين على تعليم العربية، والطرق التي ترتقي بأساليب التعليم، سواء كان ذلك متعلقا بالطالب أو المدرس أو المنهج المقرر.

وفيما يأتي بيان هذه المقترحات:

أولًا: إعداد المعلم الإعداد السليم المناسب

يتصدر إعداد المعلم، أو إعادة النظر في إعداده، قائمة السبل الكفيلة بارتقاء تعليم العربية، فإذا لم يكن المعلم متمكنا من ناصية اللغة فلا تنتظر منه العطاء، وإذا لم يكن عاشقا لهذه اللغة فلا تتوقع من الوفاء، وإذا لم يكن متأثرا بنصوصها عارفا بأسرارها فلا

[1] تعود بداياتي في تدريس العربية إلى عام 1973.

تنتظر من التأثير. إذ فاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، وهذه أهم مقومات الإعداد[2]:

أ – التمكن من العربية نطقا وفهما وكتابة وخطا

ويستوجب ذلك دراسةً للغة وفهمًا لنصوصها وإدراكًا لقواعدها وأحكامها لا يقتصر على الدراسة الجامعية بل يتعداها إلى مرحلة الحب والتفاعل مع كل المهارات اللغوية المطلوبة، بدءا من القراءة الصحيحة، ومرورا بالفهم والإدراك الواعي لعلوم اللغة المختلفة، وانتهاءً بالنطق الفصيح والكتابة السليمة.

ويذكرني النطق السليم بما كان خريج قسم اللغة العربية بجامعة دمشق يطالب به كي يتخرج، وهو المقابلة أو الامتحان الشفوي، إذ يمتحن بقراءة نص في كتاب تراثي، ليسأل عنه أسئلة في الفهم والإعراب والبلاغة والعروض..تؤذن نتيجته بمبلغه من العلم بالعربية من جهة، وبقدرته على النطق بها والخطاب من ناحية أخرى. وما أحوجنا اليوم إلى إعادة هذا الامتحان الشفوي قبل التخرج، ولدى القبول في سلك التربية والتعليم.[3]

ولا بد أن يجمع إلى ذلك الخط الحسن، فهو وسيلة رائعة من وسائل تقبل اللغة ومحبتها لدى الطالب، والقلم أحد اللسانين كما قيل، وكلُّ مَنْ عَرَف النِّعمةَ في بَيان اللسانِ، كان بفضل النِّعمة في بيانِ القلم أعرَف[4]، فإذا امتلك المعلم قلما حسنا وحسا رفيعا كان في يده أمضى سلاح.

ولي قلمٌ في أنملي إن هززتهُ فما ضرَّني ألا أهزَّ المهنَّدا

وحسبك بالقلم شرفا أن الله جل وعلا وصف نفسه تعالى جده بأنه علم بالقلم: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم"[5]. كما أقسم بما يخط به فقال: "ن والقلم وما يسطرون"[6].

وقد قلت مرة في وداع أستاذ جامعي يمتلك ريشة رائعة يخط بها ما يكتبه لطلبته:

---

[2] انظر اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي 46-49.

[3] اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي 47.

[4] الحيوان للجاحظ 1/ 58.

[5] سورة العلق 3 – 4.

[6] سورة القلم 1.

"وأما أنت فأستاذ فنان، يمتزج العلم عندك بالفن، وإذا امتزج العلم بالفن كان أمرا عجبا، وآتى أكله طيبا. ولاريب عندي أنك كسب عظيم في كل مكان تحل فيه، وفقك المولى وسدد في طريق الخير خطاك".

ب – إتقان القرآن الكريم

والقرآن مفتاح العربية، وأعني بالإتقان علوم القرآن المختلفة قراءة وترتيلا وفهما وتفسيرا وحفظا وواعيةً، وكلما كان الإتقان أجود، كان التمكن من العربية أوضح، وأشهد أني ما رأيت تمكنا من لغة العرب إلا وخلفه مَكِنَةٌ من كتاب الله جل وعلا، ولا رأيت ضعفا في هذه اللغة إلا وخلفه ضعف في كتاب الله جل وعلا، وما أفلح من أفلح من معلمي العربية ومدرسيها، بل من أدبائها وكتابها وشعرائها إلا بإتقانهم لهذا الكتاب، يستوي في ذلك مسلموهم ومسيحيوهم، واقرأ إن شئت تراجم كبار الكتاب من مثل اليازجي والبستاني ومكرم عبيد وطه حسين والرافعي والطنطاوي وغيرهم.. تجد أنهم صدروا في معرفتهم وأدبهم عن هذا الكتاب الخالد.

قال المؤرخ المعاصر المعروف نقولا زيادة:

"علينا أن نتقن لغتنا، وإتقان هذه اللغة يقضي بأن يقبل كل واحد منا على القرآن الكريم فيفهمه فهما صحيحا. أما المسلم فله في ذلك أجره عند ربه، وأما الباقون فلهم على ذلك أجرهم عند أنفسهم وعند أبنائهم الذين يربونهم عندئذ تربية عربية خالصة"[7]

وهو ما أوصى به الشاعر القروي رشيد سليم الخوري إذ قال:

"علّموا القرآنَ والحديثَ ونهجَ البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم"

وهذا بين واضح لكل ذي لب لأن علوم العربية على اختلافها إنما نشأت في رحاب القرآن الكريم حفظاً له، ورواية لقراءاته، ودراية بمعانيه، وفهماً لدلالاته، وتذوقاً لبلاغته، ووقوفاً على أسراره وخباياه. ومن هنا قال بعض الباحثين في علوم اللغة: " لولا القرآن ما كانت العربية"[8].

---

[7] مجلة العربي تموز 2004.

[8] رمضان عبد التواب في كتابه:

وفي هذا يقول أستاذنا الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله:

"بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية ترابط محكم فمهما تتقن من علوم العربية وأنت خاوي الوفاض من علوم القرآن فعلمك بها ناقص وهي الأساس وقدمك فيها غير ثابته، وتصورك للغة غامض يعرضك لمزالق تشرف منها على السقوط مل لحظة، وسبب ذلك واضح لكل من ألمَّ بتاريخ العربية، فهو يعلم حق العلم أنها جميعاً نشأت حول القرآن وخدمة له"[9].

ج - التدريب المستمر

جاء في خزانة الأدب للبغدادي:

قال المرزباني في الموشح: أخبرني الصولي، قال: حدثني يحيى بن علي قال: قال أبو جعفر محمد بن موسى المنجم: كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما، وهوعدي بن الرقاع، لقوله: الكامل

وعلمت حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم، فإذا لم يجب أدبته على قوله. وأقبل رأس ألآخر، وهو زيادة بن زيد، لقوله:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

أوردت هذا الخبر لأدلل على أهمية الاستمرار في التعلم، وفي طلب العلم، ولاسيما علم العربية فهي بحر عميق الغور، و"كلام العرب لا يحيط بِهِ إلاَّ نبيّ"[10]. كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله.

ومعلم العربية بحاجة دائمة إلى مطالعة كتبها والاستزادة من علومها وآدابها، وتتبع أخبارها ونشاطاتها، ومما يعينه على ذلك:

1 – حضور مجالس علمية تعنى بقراءة كتب الأدب والنحو واللغة، كالبيان والتبيين، والكامل ومغني اللبيب والخصائص والكشاف.

2 – الصلة مع علماء العربية من مجمعيين وأساتذة جامعات ومشايخ.

3 – حضور المحاضرات والمؤتمرات والندوات التي تعنى بأمر العربية.

---

[9] مقدمة كتاب الحجة لابن زنجلة.

[10] الصاحبي في فقه اللغة 27.

وليكن شعاره دوما قول الشاعر:

إذا مر بي يوم ولم أتخذ يداً ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

ثانيا: الكفاية

لا بد أن يكون المعلم مكفيا أي عنده ما يكفيه، وهذا أساس مهم من أسس التربية، إذ كيف يؤمل النفع من مدرس لا يسد راتبه رمقه ولا يكفيه إلى آخر شهره، إنه سيتطلع بلا ريب إلى ما يمكن أن يتمم به معيشته، وإن أخل ذلك بتعليمه وتدريسه، بل قد يرى البعض في عدم أداء المهمة على وجهها نوعا من أنواع الكسب، إذ لابد للطالب عندها من الاعتماد على الدروس الخصوصية، التي لا يجدها إلا عند هذا المعلم وأقرانه من المقصرين في تدرس الطلبة في المدارس، فإذا جاء الدرس الخصوصي انشرحت صدورهم، وفاضت علومهم، ونفعوا وانتفعوا، على حد قول الشاعر:

إن المعلم والطبيب كليهما لا ينفعان إذا هما لم يكرما

إن أول تخريب للعملية التعليمية، يبدأ من إفقار المعلم، وعدم احترامه وتوقيره وتبجيله، وقد حثنا الشرع الحنيف على توقير أهل العلم، وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، فقال جل وعلا: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون} وقال أيضا: {يرفعِ الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم منكم درجات} وقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا » والمعلم كبير وينبغي أن يظل كبيرا.

وقال أمير الشعر شوقي:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفسا وعقولا

يا أرض مذ فقد المعلم نفسه بين الشموس وبين شرقك حيلا

فكيلا يفقد المعلم نفسه، وكيلا يحال بين الناس وبين العلم، على أولي الأمر أن يبادروا إلى إصلاح أمره، وإعطائه ما يكفيه، لأن في ذلك إنقاذا للأمة من شر يراد بها، والله المستعان على كل بلية.

ثالثًا: المحبة

أعني حب الطلبة للمعلم، فهو السبيل الأقصر إلى علمه وفضله، وكلما كانت هذه المحبة عامرة كان الانتفاع بالمعلم أكثر، والحق أني لا أعرف مدرسا من مدرسي الجامعة كان أكثر نفعا وفائدة لعموم الطلبة من أستاذنا العلامة عاصم البيطار، وقد قابلته منصرفي من حضور مناقشة للدكتوراه في كلية الآداب بجامعة دمشق فسلمت سلام المشتاق لأستاذ باعدت بينه وبين تلامذته الأسفار، ثم قلت له: مازلت أذكر يا سيدي أنك أكثر من درّس في قسم اللغة العربية نفعا للطلبة وإفادة لهم، وبناء لقاعدتهم النحوية فما سر ذلك؟

فأجاب: يا بني لقد كنت في غابر أيامي مدرسا للعربية في ثانويات دمشق. وعندما خير لي أن أدرّس النحو في الجامعة أخذت للأمر أهميته وأعددت له عدته واحتشدت له بكل ما أملك فلم أدع مرجعا للنحو إلا عدت إليه، عاكفا عليه، باحثا فيه، وأخبرت والدي الشيخ بهجة البيطار – رحمه الله- فقال: يا بني حسنا صنعت، ولكن عليك قبل ذلك أن تصل إلى قلب الطالب فإذا أحبك الطالب انتفع بك وأفاد منك، وإلا أعرض عنك ولم يفدك علمك شيئا.

اجعل علاقتك بطلبتك علاقة ود ومحبة، فإذا أفلحت في ذلك أوصلت إليهم ما تريد من معرفة، وإلا بقيت معرفتك لنفسك. ابن مع الطالب جسرا تعبر فيه إلى قلبه، وإذا ملكت قلبه أمكنك من عقله.

وكذا كان... فالطلبة كل الطلبة كانوا يجمعون على حب الأستاذ عاصم. والطلبة كل الطلبة كانوا يحضرون محاضرة الأستاذ عاصم، والطلبة كل الطلبة كانوا يفيدون من علم الأستاذ عاصم..والطلبة كل الطلبة كانوا ينهلون من علم الأستاذ عاصم.

وجه عليه من الحياء سماحةٌ ومحبة تجري مع الأنفاسِ

وإذا أحب الله يوما عبده أجرى عليه محبةً في الناسِ

ولا ريب أن المحبة تحتاج إلى عطاء وبذل وزرع وحرث، وهي جماع أمور ما اتصف بها أحد إلا نالها، وفيما يأتي بيانها:

أ – لين الكلمة وطلاقة الوجه:

لين الكلمة بوابة القلوب وطلاقة الوجه مفتاح المحبة.

وقد حثنا الشرع الحنيف على هذا اللين وتلك الطلاقة، إذ قال الله تعالى: "وقولوا للناس حسناً:. وقال: فقولا له قولاً ليناً. وقال: وقل لهما قولاً كريماً. وقال: وقل لهم قولاً ميسوراً.

وعلمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم أن الكلمة الطيبة صدقة. ومن أحق بهذه الصدقة من طلبة العلم. وهي بعدُ من الإحسان، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

وقديما قيل : من لانت كلمته وجبت محبته[11] وحسنت أحدوثته وظمئت القلوب إلى لقائه وتنافست في مودته[12]. وسمع بعض الأعراب يقول لولده:

أبني إنّ البرّ شيء هين وجه طليق وكلام لين

وما أصدق قول القائل

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق10

وقال الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يستنزل الأمل البعيد. وقيل: حسن البشر اكتساب الذكر. البشاشة مصيدة المودة[13].

---

11 من أمثال العرب، انظر البيان والتبيين 174/2، ومجمع الأمثال، والمستقصى للزمخشري، وقد نسبها المبرد في الكامل لعلي بن أبي طالب رضي اله عنه.

12 غرر الخصائص الواضحة للوطواط 30.

ب- لين الجانب والتواضع والإنسانية:

تواضع المدرس لطلابه ولين جانبه – دون النيل من هيبته ومكانته – يقرب منه طلابه، ويجعلهم أحبابه، ويزيل حاجز الخوف والقلق والجزع من نفوسهم، لتحل محلها الطمأنينة والأنس والشوق، وقد قيل:من ذهبت كلفته دامت ألفته.

والتواضع ولين الجانب لا يعنيان الضعف والخور والفراغ، بل عكس ذلك هو الصواب، لأن الكبير والمليء هو الذي يلين لغيره واثقا من علمه وفضله ومكانته، أما الصغير والفارغ فإنه يبحث دوما عما يعوض نقصه ويجبر ضعفه فيلجأ إلى الكبر والغرور ويصطنع المعرفة والفهم وهما منه براء.

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن فوارغ

كتبت مرة في زميل أكاديمي كبير تقلب في مناصب كثيرة ما أفقدته إنسانيته وتواضعه ولين جانبه:

"من كانت الإدارة زانته فقد زينتها، ومن كانت شرّفته فقد شرفتها. كنت الوزير.. وكنت العميد.. وكنت المدير.. لكنك لم تنس أبدا أنك الإنسان..فسعدت وأسعدت من ينهل من علمك ومن يعمل معك. بوركت وبوركت إنسانيتك..وآتاك المولى على قدر نيتك.".

ج – التشجيع

على المدرس أن يغرس في نفوس طلابه الأمل ليجني أطيب ثماره، وعليه أن يزين لهم النجاح ليحصلوا عليه، وعليه أن يأخذ بأيديهم إلى سبل الخير ليرتادوها، وليكن على ذُكر من أن الواثق بالنجاح يستجرُّ إليه كل أسباب النجاح، والمتفائل بالخير يجده أمامه، فليزرع في نفوس طلابه هذه المعاني، وليشجعهم عليها، وإذا ما لمح بذرة إبداع لدى بعضهم فليحرص عليها حرصه على كنز قد اكتشف ومنجم قد حفر، فلا شيء يمكن أن يعدل الاستثمار في البشر،وبذلك تبنى الرجال وتنمو الأمم.

---

[13] محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء887.

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرًى وبين رجالِ

أذكر من أساتيذنا الذين زرعوا فينا الأمل وشجعونا الأستاذ الدكتور محمود الربداوي فقد كلفني وزميلي د. يحيى مير علم والأستاذ عدنان عبد ربه بإعداد بحث عن أبي الفرج الأصفهاني، فلما أنجزناه، فسح لنا المجال لنرتقي منبر التدريس الجامعي في واحد من أكبر مدرجات كلية الآداب لنلقي أول محاضرة على مسامع زملائنا في الكلية، وفيهم أستاذنا الجليل، ياله من موقف.. يمضي الزمان علي لا أنساه!.

وما إن أنهينا الكلام حتى انبرى أستاذنا يعلق على المحاضرة، مستهلا تعليقاته ببيت رائع نقش في ذاكرتي من يومئذ:

إن الرجال صناديق مغلقةٌ وما مفاتيحها إلا التجاريبُ

ثم راح يكيل لنا من صنوف الثناء والإطراء والتشجيع والتأييد ما جعلَنا بحق أساتذةً في أرقى الجامعات ومحاضرين في أعظم المؤتمرات وباحثين في أهم الندوات.

على أن العجب العجاب كان في إدراجه بحثنا ذاك مع بعض بحوث زملائنا (كالدكتور علي أبو زيد وهو اليوم معاون وزير التعليم العالي ، والدكتور محمود سالم وهو اليوم أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق) في الأملية المقررة علينا وعلى أفواج أتت بعدنا، وما كان أشد بهجتنا حين رأينا أسماءنا تتصدر تلك الأملية، لقد زرع فينا ثقة لا تبلى.. ومحبة لا تفنى.. وبصيرة لا تعمى.

د- براعة الاستهلال

من أسباب نجاح المدرس أو المحاضر أن يستهل محاضرته بما يشد انتباه الحاضرين ويشوقهم للمتابعة والتحصيل، وكلما كان الاستهلال أبرع كانت المحاضرة أنجع.

مازلت أذكر كيف كنا ننتظر بشوق محاضرة الأستاذ عاصم البيطار فنجد فيها العلم والمتعة والمعرفة والأنس والفن والفكاهة والنحو والأدب. ما أذكر أنه بدأ محاضرة من محاضراته كما يبدأ معظم الأساتذة محاضراتهم فيلجون إلى موضوع بحثهم دون مقدمات أو استهلالات.

فكما أن لكل قصيدة مطلعا يحشد فيه الشاعر كل فنه وبلاغته وظرفه وطرافته كذلك كان لكل محاضرة من محاضرات الأستاذ عاصم مطلع يأخذ فيه بيد الطلبة إلى بحر النحو العميق، فإما أن يبتدئ ببيت شعر، أو آية كريمة، أو حديث شريف، أو قصة نادرة، أو خبر طريف، أو مثل معجب، أو قصيدة وافاه بها طالب من الطلاب، أو حدث كان له أثر في الناس والمجتمع، أو طرفة يحكيها، أو حكمة يرويها، أو حادثة جرت له في الجامعة، أو من أحد من رجالات العلم الذين تطرب لذكرهم الأسماع وتشد لسيرتهم الألباب، ويحلو بحديثهم المكان والزمان. وما هو إلا أن تجد نفسك وسط بحث من بحوث النحو أو درس من دروس الصرف، أو إعراب من الأعاريب أو تحليل من التحليلات، يرسمه الأستاذ على السبورة بخط بلغ الغاية في التجويد والإتقان والملاحة والإحسان,وكأنه اللوحة الساحرة أبدعتها ريشة فنان.

ويأتي كل ذلك سهلا ميسورا لا تكاد تجد فيه أي عنت أو صعوبة .فما كان أحد في محاضرة شيخنا البيطار يشعر بملل أو يداخله الملال، وما كان أحد في محاضرة شيخنا البيطار ينصرف عنه بكلمة أو يتشاغل عنه بحديث، بل كان الجميع يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير، ويحدجونه بأبصارهم وينصتون إليه بأسماعهم ويحفونه بقلوبهم.

أرأيت إلى الشاعرالملهم ينشد وسط الجموع قصيدة عصماء والقلوب تهفو إليه من كل جانب... أرأيت إلى الخطيب المصقع يهدر بخطبة عصماء والجموع تحيط به من كل جانب...

أرأيت إلى الإمام الخاشع يؤم جموع المصلين يتلو آيات الرحمن يحبرها تحبيرا والمؤتمون مأخوذون بما يرتل متابعون لما يتلو . كأني بالأستاذ عاصم كان كذلك رحمه الله وأسبغ عليه شآبيب مغفرته.

كان – والله – سمحا سهلا، كأنما بينه وبين القلوب نسب، أو بينه وبين الحياة سبب، وإنما هو عيادة مريض وتحفة قادم وواسطة عقد.

فتى صيغ من ماء البشاشة وجهه

فألفاظه جود وأنفاسه مجد

هـ – الإتحاف والإطراف والتفنن في العطاء

قلما دخلت قاعة درس أو محاضرة إلا وأنا مشغول بما يمكن أن أتحف به الحضور من نادرة أو فائدة أو شاذة أو فاذّة، ذلك لأن النفوس بطبعها تحب الإطراف، والطرفة: كل شيء مستحسن عجيب, والجمع طُرَف. والطريف الطيب النادر، والحديث المستحسن. وطرائف الحديث: مختاره. كأطرافه ج. طَرَف.

قال الشاعر:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

وقال خالد بن صفوان:

(خير الكلام ما طَرُفَت معانيه، وشرُفت مبانيه، والتذَّه آذان سامعيه.)

فالطرائف إذاً تشتمل على الهزل والجد, والجامع لها الجدة والاستحسان.

ويحسن بالمعلم أن يستعين بالكتب التي تعنى بأمر الطرائف والطرف، وهي كثيرة متنوعة، منها مثلا: العقد الفريد لابن عبد ربه، وربيع الأبرار للزمخشري، والمستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي...وغيرها.

كما يحسن به أن ينوع في عطائه، كي يبقى الطالب مشدودا إليه، على نحو ما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه:

"حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم فإن رأيت منهم فتورا فأمسك".

وسأورد فيما يأتي طرفا من مقال كتبته عن أستاذ كان آية في طرائق تدريسه، وتفنن عطائه، وهو الأستاذ أحمد المعتصم العذري رحمه الله تعالى:

"وهكذا كانت حصص العربية تمضي, تتخطّفها أفانين الأستاذ العذري, في نشاط لا يعرف الكلال, وجد لا يعرف الملل, وتنوع في الأداء يحيط بكل معارف اللغة من نحو وإملاء وإنشاء, ونصوص وقرآن, فبينا ترى الأستاذ يشرح درسا أو يقرأ نصا إذا به يطرح سؤالا يثاب من يجيب عليه بزيادة درجة أو أكثر, أو يطلب إعراب كلمة يتنافس الطلبة في تقدير إعرابها,

وإذا ما فرغ من تقرير درس دعا إلى مسابقة أو مبارزة يخرج فيها طالبان أو أكثر ليكتبا جملة لا تخلو من نكتة نحوية أو إملائية على نحو يذكي القريحة ويقدح زناد الفكر ويحرك نوازع الإبداع.

أذكر أنه أملى علينا مرة قطعة تجمع صنوف الهمزات في الكتابة العربية ما بقي واحد منا إلا حفظها وتمثل بها وتندر بألفاظها حتى إني أمليتها أمس على ولدي الأصغر عبادة بعد أكثر من أربعين عاما من حفظي لها، وكم كان سروري عظيما حين لم يخطئ في كتابة أي حرف منها, وهاكها فاحفظها ودرّب طلابك على همزاتها:

"قال الكأكائي لقوم تكأكؤوا عليه لمَ تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني..." .

لقد كان الطلبة يتعلمون من هذه الطرائق والأساليب أضعاف ما يتعلمونه في دروسهم المقررة وكتبهم المؤلفة.

لهُ في أفانينِ الكلامِ تَصَرُّفٌ وفي الشِّعرِ إحسانٌ وفي النَّثر إجمالُ"[14]

و – الالتزام بالوقت

جبلت النفوس على الملل وحب التغيير، ومن ثم وجب على المدرس أو المحاضر أن يتقيد بالوقت المتاح، ,وألا يغريه بريق الكلام فينسى نفسه ومن حوله، لأن خير الكلام ما قلَّ وجلَّ ودلَّ ولم يملَّ. كما قال البحتري.

ولاشك أن تقسيم المحاضرة إلى فترتين بينهما راحة خير من المواصلة، لأن الطالب يتجدد نشاطه بمثل هذه الراحة، وكذا المحاضر، فيقبل كلاهما عليها إقبالا نشيطا.

وما أحسن ما كان يفعله أحد أساتيذنا في مرحلة الثانوية العامة، وهو الأستاذ محيي الدين سليمة إذ كان يغلق فمه مع صوت الجرس في حركة تدعو كل الطلبة إلى الفرح والسرور، مع ما كان يتمتع به من خفة ظل وتنوع عطاء وسلاسة، جزاه المولى عنا خير الجزاء.

---

14 الأستاذ العذري ..وأفانين التعليم. مقال نشر في جريدة الراي.

ز – حسن السمت والهيئة:

درجت بعض المسلسلات والأفلام على تشويه صورة معلم العربية وإبرازه على نحو مهترئ الصورة شكلا ومضمونا، وهي صورة طبعت في أذهان الطلبة، تستوجب التغيير والتحسين وإعادة الوضاءة[15].

ولا ريب أن حسن السمت والهيئة يريح نظر المتلقي ويؤثر فيه. ومن طريف ما يروى أن الأستاذ الجليل سعيد الطنطاوي – حرس الله مهجته وأمتع به – دخل دار المعلمات بدمشق محاضرا وهو ينتعل نعلا ذات شِراك بالية (شحّاطة) فتضاحكت منه الطالبات وهن يشرن إلى نعاله، فما كان منه إلا أن جاء في اليوم التالي بحذاء جديد وضعه على منبر التدريس، وجلس لا ينبس ببنت شفة، ولما كثر اللغط وسئل عن سبب فعله، أشار إلى الحذاء قائلا هذا أستاذكم فخذوا عنه علمكم.

وأنا لا أروي هذه القصة ليقتدي المدرسون بالطنطاوي في لبسه وبزته، فهو نسيج وحده وفريد عصره، بل أرويها لنعلم مقدار حفاوة الطلبة بشكل الأستاذ وهندامه.

ح- المشاركة والتفاعل

لا يحسن بالمدرس أن يلبس لبوس المحاضر الذي يكتفي بالتلقين والمحاضرة دون أن يفسح المجال لسؤال أو استفسار أو مداخلة أو تعقيب، بل ينبغي أن يشجع على مشاركة الطلبة دوما، ويصغي لأسئلتهم، ويحثهم عليها، فإن لم يسألوا فعليه أن يسأل لأن السؤال مطية العلم، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما أنى لك هذا العلم؟ فقال
لسانٌ سَؤُولٌ، وقلب عَقُول[16]، وكنت كلما لقيت عالما أخذت منه وأعطيته.

ومن ضروب المشاركة تكليف الطلبة بواجبات ونشاطات تلزمهم الذهاب إلى المكتبات، والعودة إلى مصادر العربية ومراجعها، ليجد الطالب نفسه في دنيا العربية برجالها وخطبائها وشعرائها وأدبائها وفنونها المختلفة، فتنعقد الصلة بينه وبينها، وتزول الغربة والجفاء عما يشعر به تجاهها.

---

[15] اللغة والمتغير الثقافي–الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي 48.

[16] قال الجاحظ: وقد رووا هذا الكلام عن دَغْفَل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه. البيان والتبيين 85/1.

ومن ضروب هذه المشاركة أن يستمع المدرس إلى مشاركات الطلبة الإبداعية في شعر أو قصة أو خاطرة أو ما أشبه ذلك، ويثيبهم عليها باعثا روح التنافس فيما بينهم، معلقا بكلمات منتقاة يفخر بها الطالب أنى كان، لأن الطالب يحفظ كلام أستاذه، لاسيما المكتوب منه.

ومن ضروبها متابعة بعض البرامج التلفازية التي تعنى بفنون العربية والتعليق عليها، كشاعر العرب، وأمير الشعراء، وكذا بعض المسلسلات التاريخية المعنية بالأدب والفن كالزير سالم، والحجاج، وملوك الطوائف.

ومن روافد هذه المشاركة إجراء المسابقات الأدبية وإذكاء روح التسابق والمنافسة بين الطلبة، كمباراة الأنفاس الشعرية، أو المساجلة الشعرية، والكلمات التي تبدأ بحرف ما، ومعرفة معاني الكلمات، وردكل بيت لقائله....وما إلى ذلك.

رابعًا: السماع

أعني به أن يسمع الطالب لغته صافية مشرقة ندية لا لحن فيها ولا خطأ، على نحو ما كان يسمعها الغلمان العرب إذ كانوا يرسلون إلى البوادي ليخالطوا أهل الوبر الذين لم يتطرق اللحن إلى ألسنتهم، ولم يعرف الخطأ طريقه إليهم، فينشأ الناشئ بينهم على الفصاحة والبلاغة وسلامة السليقة.

وهذا ما بيَّنه عالمنا الفذّ ابن خلدون حين أكَّد أن السمع أحد الأسس لتعلم اللغات، إذ عن طريقه ينغرس الحسّ اللغوي السليم ليصبح ملكةً طبيعية في الإنسان: «وهذه الملكة إنما تحصلُ بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطُّن لخواصّ تراكيبه، وليست تحصُل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان فإن هذه القوانين إنما تفيد علمًا بذلك اللسان ولا يفيد حصول الملكة بالفعل في محلها»[17].

والحق أن هذه الطريقة هي طريقة العرب القدامى، وما زال الشناقطة – في موريتانيا– يتبعون هذا النهج ويسيرون في هذا الطريق، ولسان حالهم يردد قول شاعرهم:

([17]) مقدمة ابن خلدون 1289/3 – 1290.

لنا العربية الفصحى وإنا أجلُّ العالمين بها انتفاعا

فمُرضَعنا الصغير بها يُناغى ومرضِعنا تُكوّرها قناعا

فرضيعهم يغذوه لبان العربية كما يغذوه لبان أمه، والمصدر واحد، وهو الأم التي غالبا ما تكون حافظة لكتاب الله، ترده على مسامعه الصغيرة قبل أن يتمكن من الكلام، حتى إذا شب عن الطوق، أدخل المِحْضَرة – وهي المكان المخصص لطلب العلم _ فحفظ فيها المعلقات ولامية العرب وما أشبهها من عيون الشعر العربي القديم، ثم يبدأ بتلقي دروس النحو والفقه والسيرة، حتى يستوي عالما مجيدا وشاعرا فصيحا. وقد لقيت طائفة من إخواننا الشناقطة فما انقضى عجبي من فصاحة لسانهم، وقوة عارضتهم، وكثرة محفوظهم، وحضور فقههم "وخير الفقه ما حوضر به"[18] .

ويكون ذلك أيضا بقراءة نصوص العربية على مسامعهم قراءة فصيحة معبرة، ترتل القرآن ترتيلا، وتفصِّل الحديث تفصيلا، وتنشد الشعر وتتغنى به على نحو ما قال حسان في بيته المشهور:

تغنَّ بالشِّعْرِ إمّا كنتَ قائلهُ		إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ

فلا قيمة لشعر لا يهز قائله وسامعه

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقا أن يقال له شعرُ

إن المعلم الحق هو الذي يأسر سامعه بسلامة لغته.. وعلو بيانه.. وجمال أدائه.. وتناغم صوته مع مضمون كلامه.. يعلو فيه ويجهر في مواضع الإنذار والوعيد حتى كأنه هدير الفحل..أو هزير الريح.. أو هزيم الرعد. ويلين في مواضع اللين والتبشير حتى يمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقّةً.. وبالماء عذوبةً.. وبالطيب أريجاً..وبالنغم إيقاعاً وجرساً.

ولعمر الله إن من كانت هذه صفاته لتهفو إليه النفوس، وتشتاقه الأرواح، وتشنف بسماعه الآذان، وتسعى إليه المنابر ولسان حالها يردد:

شرح المنبر صدرا لتلقيك رحيبا

---

18 العربية وطرائق اكتسابها 53.

أترى ضَمّ خطيبا منك أم ضُمِخَ طيبا؟[19]

أقول: لقد فقد طلابنا نعمة السماع هذي فتاهوا، ولم يعرفوا من العربية إلا الفاعل والمفعول فنفروا من دروسها وأبغضوها.

ولا ريب أن مما يعين على هذا السماع الإكثار من حصص القراءة والنصوص، على حساب حصص النحو والقواعد، على أن يتخير لها أجمل النصوص وقعا، وأكثرها سلاسة، وأعلاها بيانا، وأمتعها مضمونا.

لأن من يُنَشَّأ على الفصاحة والبيان لا يحتاج إلى كثير من دروس النحو لاستقامة لسانه وسلامة سليقته.

ولست بنحويٍّ يلوك لسانَهُ ولكنْ سليقيٌّ يقولُ فيعربُ

بل يقتصر على النحو الوظيفي الذي يأتي بيانه، وقديما قال علماؤنا: النحو في الكلام كالملح في الطعام.

وفي هذا يقول الجاحظ في فصل عقده لرياضة الصبي من رسالته في المعلمين:

"وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أردّ عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع.".

وقد نبه على هذا أرباب العربية في عصرنا، حين تصدوا لأمر اكتساب اللغة، فمن ذلك قول الأستاذ إبراهيم مصطفى عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

"إن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة الطبيعة هي أن نستمع إليها فنطيل الاستماع، ونحاول التحدث بها فنكثر المحاولة، ونكل إلى موهبة المحاكاة أن تؤدي عملها في تطويع اللغة وتملكها وتيسير التصرف بها، وتلك سنة الحياة في اكتساب الأطفال لغاتهم من غير معاناة ولا إكراه ولامشقة فلو استطعنا أن نصنع هذه البيئة التي تنطلق فيها الألسنة بلغة

19 قالهما أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر لهارون بن أحمد بن عبد الواحد (ت 537) عندما ولي خطابة حلب. معجم الأدباء لياقوت الحموي 581/5.

فصيحة صحيحة، نستمعها فتنطبع في نفوسنا، ونحاكيها فتجري بها ألسنتنا، إذاً لملكنا اللغة من أيسر طرقها، ولمهّد لنا كلُّ صعب في طريقها ".

ومن ذلك أيضا قول الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب: " لا شيء أجدى على من يريد تعلم لغة ما من الاستماع إليها والقراءة الكثيرة في تراثها، وحفظ الجيد من نصوصها".

فلنعد إلى النحو الفطري، نحو القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العذب النبيل، والمثل السائر، والحكمة البليغة، والخطبة المؤثرة، وطرائف الأدب ولطائفه[20].

خامساً: الحفظ

يقرر ابن خلدون في مقدمته أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي, وعلى قدر وجودة المحفوظ و طبقته في جنسه, وكثرته من قلته, تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ.

بل إن ابن خلدون يربط بين اكتساب ملكة اللسان العربي وبين حفظ كلام العرب في مقدمته حيث يقول: " وتعلم مما قررنا في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب, حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه, ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم, وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم"[21].

والحق أن اللغة إنما تكتسب بكثرة الاطلاع على نصوصها, ووفرة المحفوظ من هذه النصوص بدءاً من القرآن الكريم, ومروراً بكلام العرب في شعرها ونثرها وخطبها وأمثالها وأخبارها, وما أفلح من أفلح ممن تمكن من ناحية هذه اللغة فأسلست له قيادها إلا بمثل هذا, وهاكم الأمثلة من كتّابنا وأدبائنا وأعلامنا العظام مثل حنا مينة و بطرس البستاني ومكرم عبيد وطه حسين ومحمود شاكر والطنطاوي وغيرهم.

---

[20] العربية وطرائق اكتسابها *60-61*.

[21] مقدمة ابن خلدون 1289/3 – 1290.

إننا حقاً بحاجة إلى إعادة النظر في بعض ما فُتِنّا به من نظريات التربية الوافدة من هنا وهناك, من مثل تلك التي تزعم أن ثقافة الحفظ لم تعد تجدي وأن الحفظ يتنافى مع الفهم. لقد صرنا في اعتمادنا نظريات لا تليق بنا ولا بلغتنا وثقافتنا إلى ما صار إليه ابن هرمة عندما قال::

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفّي زناداً شحاحا

كتاركةٍ بيضَها في العراء وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

ولا أدري والله لماذا يجعل الحفظ مقابلاً للفهم, وكأنهما ضدان لا يجتمعان, مع أن هذه العلاقة الموهومة المبنية على التضاد فيما بينهما غير صحيحة ألبتة, فليس الحفظ بمانع من الفهم, بل هو مطيّة له ومساعد عليه، لأنه لا يرسخ ويسهل ويستطاع إلا بالفهم, وقديماً قيل: " الحفظ الإتقان ".

ويكاد العلماء المعنيون بأمر اللغة – قدماء ومحدثين – يتفقون على أهمية الحفظ وضرورته.

يقول القاضي عبد الرحيم بن علي بن شيث القوصي، في سياق حديثه عن أدوات الكاتب وعدته: "والحفظ في ذلك ملاك الأمر كله،فإنه يؤهل ويدرب، ويسهل المطلوب ويقرّب."[22].

ويقول الدكتور محمود الطناحي:

" فالحفظ وسيلة ضبط وإتقان ينبغي أن تراعى من أول درجة من درجات سلم التعليم، ولا تشفقوا على الصغار والناشئة فإن فيهم خيرا كثيرا"[23]

ويقول الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم:

"نعتقد أننا بحاجة جادة إلى أن يعود الحفظ إلى سابق مجده في هذه الأمة, ولا ينفق المرء إلا مما ادخره, يستوي في ذلك حفظ القرآن, والتراث الشعري والنثري. وأن نرفض تلك النظريات التربوية المفسدة للملكة اللغوية والسليقة العربية, وأن تعود المختارات "كالمنتخب من الأدب العربي" إلى المدارس كلها"[24].

---

[22] مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي 152/1.

[23] مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي 154/1.

[24] كتابات في النقد، د. عبد اللطيف عبد الحليم. ص 293.

فمن أراد العربية وسعى لها سعيَها, فإن أهم سعي لها حفظ نصوصها، وقراءة أدبها, والتغني بشعرها, وترداد خطبها, والتمثيل بأمثالها وحكمها، ورواية قصصها وأخبارها، ذلكم هو مفتاح العربية, وتلكم هي بوابتها, فهل من مبتغٍ إلى العربية سبيلا؟!

ولا بد لي قبل أن أختم القول في الحفظ من التنبيه على أمر مهم، وهو وجوب التصحيح قبل الحفظ، إذ إن أخطر ما في الحفظ أن يكون على خطأ، فيؤدي عند ذاك إلى ضد المؤمل منه، لأنه يستقر في ذهن الطالب، ويصعب فيما بعد تغييره، وقد يؤدي إلى قياس خاطئ، لأن مابني على خطأ أدى إلى خطأ.

يقول الحسين بن المنصور اليمني في كتابه آداب العلماء والمتعلمين:

"الثالث: إن يصحح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحاً متقناً، إما على الشيخ وإما على غيره ممن يعينه، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً، ثم يتعاهده بعد ذلك ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه، لأنه يقع في التحريف والتصحيف، وقد تقدم إن العلم لا يؤخذ من الكتب فإنه من أضر المفاسد"[25]

سادسًا: الاقتصار على النحو الوظيفي

النحو الوظيفي: مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق والقراءة، ويسلم القلم من الخطأ في التأليف والكتابة.

أما **النحو التخصصي** فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشبعة، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة.

وما أحوجنا اليوم إلى هذا النحو الوظيفي الذي ينأى عن كل ما لا يفيد في تقويم اللسان والقلم.

---

[25] آداب العلماء والمتعلمين 1 / 19.

ولعل أجمع كتب النحو مع الاختصار والتركيز كتاب قواعد اللغة العربية لحفني ناصف وزملائه، فإنه جمع كل بحوث النحو بإيجاز واعتماد لرأي جمهرة النحاة دون الدخول في التفاصيل غير المجدية والتفريعات والشذوذ الذي جرَّ من المضرة أضعاف ما جلب من المنفعة للغة وأهلها.

وكنت قد سمعت من أستاذنا الأفغاني رحمه الله ثناءً كبيرًا على هذا الكتاب وصل إلى حدِّ القول: إنه ما من كتاب بعد كتاب سيبويه خير من كتاب قواعد اللغة العربية.

هذا وممَّا ظهر بأَخَرة في هذا الميدان كتاب الكفاف للأستاذ يوسف الصيداوي، وهو كتاب يعيد صوغ قواعد العربية وينفي عنها كثيرًا من غوائلها ببيان رائع ونماذج من فصيح القول تغني الطالب غير المتخصص وتزوده زادًا حسنًا[26].

سابعًا: الإكثار من التطبيق النحوي

أعني عرض قواعد النحو من خلال نصوص القرآن والحديث والشعر الجميل والخبر الممتع، وقد فرّقت في مقال لي بين ما أسميته: "نحوُ الصنعة..و نحوُ الطبع"[27]

أما نحو الصنعة فهو ذلك النحو الذي يصطنع أمثلة لقواعد لا حياة فيها، ولا نبض في عروقها، كضرب زيدٌ عمراًً، و كلّمَ سعيد بشراً .

و أما نحو الطبع فهو الذي يمثّل بالشواهد، ويحتج بالنصوص القرآنية والشعرية والنثرية التي تنبض بالحياة.. وتشع فصاحة وبياناً.

إن أمثلة:(ضرب زيد عمرا، وكلم سعيد بشرا) هي التي جعلت الشاعر يقول:

لستُ للنحو جئتكم لا ولا فيه أرغبُ
أنا ما لي ولامرئٍ أبد الدهر يضربُ
خلِّ زيداً لشأنه حيث ما شاء يذهبُ
واستمع قول عاشق قد شجاه التطرّبُ

---

[26] العربية وطرائق اكتسابها74 .

[27] نشر هذا المقال في موقع الألوكة على الشابكة بتاريخ 2010/6/7

هُمُّهُ الدهرَ طفلةٌ فهو فيها يشبِّبُ

أما النصوص الجميلة الرائعة فلا يخفى ما لها من أثر في تكوين الملكة اللغوية السليمة لدى الطالب، ورفده برصيد لغوي يصبح معه بنجوة من اللحن والخطأ، لأن النصوص عندما تحفظ وترسخ تكون معياراً للكلام ومقياسا يقيس المرء عليه دون أن يشعر.

فالطالب الذي يحفظ قوله تعالى : { و كان اللهُ غفوراً رحيماً } وقوله: {وكان الإنسانُ عجولاً} وقوله: {وما كان عطاءُ ربك محظوراً} وما كان على هذه الشاكلة، يدرك بالبداهة أن ما جاء بعد كان يكون مرفوعاً، وما يخبر به عنها يكون منصوباً. فإذا قرأ بعد ذلك أي كلام عربي طبّق بالقياس هذه المعرفة فلم يخطئ.

و الطالب الذي يحفظ قول المتنبي :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فسادَ الرأي أن تترددا

يدرك أن الأسماء الخمسة تنصب بالألف،و أنها ما بعدها مجرور بالإضافة، وأن المضارع ينصب بأن.. و ما إلى ذلك .

يقول الأستاذ سعيد الأفغاني رحمه الله وهو شيخ نحاة العصر:

"لم يعد يقبل في هذا العصر عرض القواعد دون مناقشة ما تستند إليه من شواهد، لأن الشواهد روح تلك القواعد تضفي عليها حياة ومُتعة وأصالة، وعلى هذه المادة ـ أي: النحو ـ أن تكون ثقافةَ شواهد أكثر مما هي ثقافة قواعد، وهي ـ أي: الشواهد ـ متى استُوعِبَتْ أعْوَد على المِلَكَات من كثير من القواعد المحفوظة والتعليلات المتكلّفة".

وحقاً ما قال الشيخ، فالشواهد والنصوص الأدبية التي يتمثل بها هي التي تصنع المِلَكَات، ولا سيما حينما تقترن بشرح مبسط لموضع الشاهد، وقصٍّ يسير لمناسبة القول، إذ إن كثيراً من الشواهد تمثل قطعاً نادرة من قصائد الشعر وروائعه، وتحكي تجربة شعرية غنية وإنسانية، فإذا ما قرأها الطالب أو سمعها رسخت في ذهنه و تغنّى بها، وأصبحت من ثقافته اللغوية و الأدبية بل الإنسانية و الوجدانية، ولعل أجمل ما أُلِّف من كتب النحو والإعراب تلك الكتب التي خلطت النحو بالأدب، فراح المؤلف فيها يستعرض سياق القصيدة التي ورد فيها الشاهد النحوي، ويقصُّ علينا مناسبتها ونبذة عن صاحبها وربما أدى به ذلك إلى

موازنات ومقارنات أدبية لا تخلو من متعة وفائدة و ذوق أصيل، ككتاب خزانة الأدب، وكتاب شرح شواهد مغني اللبيب للإمام المحقق عبد القادر البغدادي.

يقول د. عبد اللطيف عبد الحليم: " وأما تعليم النحو بأمثلة تدور على ألسنة الناس مثل : جاء محمد، وذاكر الطالب، فإنها لا تقيم لساناً، ولا تزيد بياناً، صحيح أنها ميزان للكلام والقاعدة، لكن المثال لا قيمة له ولا يفيد نطقاً "[28].

و لعل خير ما أختم به كلمتي قطعة من الشعر فريدة لا يخلو بيت منها من تذكر قاعدة أو فائدة من فوائد النحو، أعني نحو الطبع والسليقة والملكة، وهي تحكي حكماً راسخة كانت وستبقى على مر الزمان، يتغنّى بها كل إنسان:

إنّ للمعروف أهلاً وقليلٌ فاعلوهُ
أهنأ المعروف مالم تبتذلْ فيه الوجوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا حبك الدّهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه ساعةً مجّك فوهُ
إنما يعرف ذا الفض لِ من الناسِ ذووهُ
لو رأى الناس نبيّاً سائلاً ما وصلوهُ
وَهُم إن طَعَموا في زادِ كَلبٍ أَكلوهُ
لا تَراني آخِرَ الدَهـ ـرِ بِتسآلٍ أَفوهُ
إِن مَن يَسأَلُ غَيرَ الـ ـلهِ يَكثُر حارِمُوهُ[29]

ثامنًا: مزج النحو بالأدب

إن مزج النحو بالأدب يجعله أطيب طعما، وأقرب فهما، وأسلس انقيادا، وأرجى قبولا، وذلك على نحو ما صنع كثير من علمائنا كابن جني في الخصائص وسر الصناعة، والبغدادي في الخزانة وشرح شواهد المغني. وفي هذين الكتابين علم غزير، وأدب رفيع، وفوائد لا تحصى، وهما ضروريان لكل من علم النحو أو درّسه، لأنهما يفتحان

[28] كتابات في النقد، د. عبد اللطيف عبد الحليم. ص 211.

[29] عيون الأخبار لابن قتيبة، ص 2198.

آفاقه على عالم الأدب والشعر واللغة والأخبار، فيغدو النحو معهما سلسا ميسورا مفهوما.

ولا ريب أن هذا المزج إنما يكون في شواهد النحو، التي ينبغي أن تنتقى بعناية، لتكون أرجى للقبول والإفادة، ومما يعين على ذلك أن تتوفر فيها الأمور الآتية:

أ – الطرافة:

أعني انتقاء الشواهد والأمثلة التي لا تخلو من الطرافة والإحماض، فهي أشد للانتباه وأدعى للحفظ.

فمن ذلك – في بحث الأسماء الخمسة – خبر الجارية التي تعثرت بقربتها فاستصرخت أباها:

يا أبت أدرك فاها، قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها.[30]

– و خبر أبي حمزة الذي رواه الجاحظ:

ولبُغْضِ البناتِ هجَر أبو حمزةَ الضبيُّ خَيْمةَ امرأتِه، وكان يَقِيلُ ويَبيتُ عند جيرانٍ له، حينَ ولدت امرأتُه بنتاً، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هي ترقّصُها وتقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتِينا يظلُّ في البيت الذي يَلِينا
غَضْبانَ ألاّ نلد البَنينا تاللّه ما ذلك في أيدينا
وإنّما نأكُلُ ما أُعطِينا ونحن كالأرض لزراعينا
نُبتُ ما قد زرَعُوه فينا

قال: فغَدَا الشّيخُ حتّى ولجَ البيتَ فقبَّلَ رأسَ امرأتِه وابنتها.[31]

– وقول ابن الوردي: في المبتدأ والخبر:

وأَغْيَدٍ يسأَلني ما المبْتَدا والخَبَرُ
مَثِّلْهما لي مُسْرِعاً فقلت: أَنتَ القَمَرُ[32]

---

[30] المستطرف من كل فن مستظرف ، للأبشيهي.

[31] البيان والتبين، 186/1.

– ويفيد في هذا الباب أيضا إيراد الأبيات التي تجمع بعض الأدوات أو بعض الأنواع مثل:

إن أن لكن ليت لعل وكأن

إن فتنصب الاسما وترفع بعده الخبرا

إن المعارف سبعة فيها كمُلْ أنا صالح ذا ما الفتى ابني يا رجلْ

ب – البيان والفصاحة:

إن انتقاء الشواهد ذات البيان والفصاحة يغرس في نفوس الطلبة حب العربية وحب نصوصها، وهو أعون على استقرار القاعدة في الذهن وسهولة القياس عليها. ولعل الخبر الآتي يوضح هذه المسألة:

خبر الجارية مع الأصمعي في تفسير قوله تعالى:

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (القصص7)

جاء في تفسير القرطبي:

حكى الأصمعي قال سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كلِّهْ قبَّلتُ إنسانا بغير حلِّهْ

مثلَ الغزالِ ناعمًا في دلِّهْ فانتصفَ الليلُ ولم أصلِّهْ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحكِ !

فقالت: أو يعدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى: " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه " الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين33.

---

32 ثمرات الأوراق في المحاضرات، لابن حجة الحموي

33 تفسير القرطبي

ج – المضمون:

في نصوصنا الأدبية الشعرية والنثرية ما يدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، وفي هذا يقول أبو تمام:

ولولا خلالٌ سنَّها الشعر ما درى بغاةُ النّدى من أين تؤتَى المكارمُ[34]

ومن ثم كان تخير النصوص مرهونا بما تشتمل عليه من مضامين رائعة تحبب بمكارم الأخلاق، وتنفر من مساوئها، وتزرع في نفوس الناشئة كل ما هو مفيد نافع. ينطبق عليها قول القائل:

ألفاظٌ كما نوَّرِتِ الأشجار، ومعانٍ كما تنفَّسَتِ الأسحار.

تاسعًا: الإفادة من تقنيات الحاسوب

أ– المكتبة الرقمية

لم يعد أمر البحث في العربية مقصوراً على الكتب والمكتبات والدوريات والمجلات ، وإنما امتد في عصر المعلوماتية والحاسوب ليصبح على طرف الثمام من كل من يمتلك الحاسوب أو يجلس إليه أو يعبث بأزراره, فما هو إلا أن يطلب فيعطى, ويسأل فيجاب,ويبحث فيجد, وغالباً ما يعود من عملية بحثية لم تستغرق سوى ساعات معدودات بزاد وفير وعلم غزير وإجابات شافية وحلول وافية . وما أحسبني مبالغا إذا قلت: إن الرحلة التي كانت تتطلب شهراً أو شهرين في طلب بيت من الشعر لم تعد تحتاج في كثير من الأحيان إلى أكثر من دقيقة أو دقيقتين، ورحم الله شيخنا النفاخ فقد سمعت منه غير ما مرة أنه قد يلبث بضعة أشهر في البحث عن بيت من الشعر ثم يجده أو لا يجده!

تعريف المكتبة الرقمية

تعرف المكتبة الرقمية بأنها المكتبة التي توفر نص الوثائق والمصادر في شكلها الإلكتروني سواء كانت منشورة على الشابكة (internet) أم مخزنة على الأقراص المدمجة CD أو الصُّلْبة Hard أو غير ذلك من وسائل التخزين المحدثة (flash

---

[34] عيون الأخبار لابن قتيبة

(memory). وتمكن الباحث من الوصول إلى البيانات والمعلومات المخزنة إلكترونياً من خلال شبكات المعلومات.

فالمكتبة الرقمية تختزن أساساً مواد في شكلها الإلكتروني، وتسيطر على مجموعة ضخمة من هذه المواد بفعالية؛ ولذا فإن البحث في المكتبات الرقمية ما هو في الحقيقة إلا بحث في شبكات المعلومات ونظمها[35].

مزايا المكتبة الرقمية:

تمتاز المكتبة الرقمية بعدة مزايا أهمها:

1 – توفير حجم كبير من البيانات والمعلومات.

2 – اختصار الكثير من الوقت والجهد.

3 – تمكين الباحث من السيطرة على مصادر المعلومات الإلكترونية بيسر وسهولة ودقة وفاعلية، بحيث يمكنه التنظيم والتخزين والحفظ والاسترجاع والتعديل.

4 – تمكين الباحث من الاتصال بزملائه عن طريق البريد الإلكتروني، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات المرئية.

5 – إتاحة المجال أمام الباحث لنشر نتائج بحثه (نشراً إلكترونياً) فور انتهائه منه[36].

وإذا كان للمكتبات الورقية أنظمه ترتبها وتصنفها كنظام ديوي العشري فإن المكتبة الرقمية لا نظام لها ولا حدود تحدها, إنها من السعه بحيث لا تقبل التحديد ومن التنوع بحيث لا تقبل الترتيب والتصنيف! كلما سئلت أجابت ولديها المزيد. والإبحار عبر الشابكة يثبت لك صحة قولي فمئات المواقع العربية ترفد الثقافة العربية بكل غني ومفيد, وفيها مواقع متخصصة لخدمة اللغة وفنونها المختلفة بدءا من النحو والصرف ومرورا بالبلاغة والعروض وانتهاء بمهارات الكتابة والإملاء.

ب– البرامج والنظم الإلكترونية:

[35]) البحث العلمي 261-262.

[36]) البحث العلمي 262-263.

ثمة برامج ونظم إلكترونية وضعت لخدمة فنون العربية المختلفة كتعليم النحو, والعروض, والتدقيق الآلي, والتصحيح النحوي, والنظام الصرفي, والترجمة الآلية إلى العربية, وتحويل الكلام المكتوب إلى منطوق والعكس, وغير ذلك. وسأقتصر هنا على نظامين كان لي شرف المشاركة فيهما من خلال عملي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا التابع لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق, وقد أنجزا بتكليف ورعاية وتحكيم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, وهما:

1. النظام الصرفي العربي:

يرمي هذا النظام إلى استعمال الحاسوب في الانتقال من الجذر الثلاثي أو الرباعي إلى الكلمات المشتقة منه, إذ يقوم الحاسوب اعتمادا على المعجم الحاسوبي وعلى قوانين النحو والصرف بعمليتي الاشتقاق والتصريف (التوليد والتحليل).

أما في **الاشتقاق** فهو يولد:

- الأفعال المجردة محددا أبوابها التصريفية،وما يدل على لزومها وتعديتها،مع تحديد نوع الفعل المجرد من حيث الصحة و الاعتدال و الهمز و التضعيف.
- الأفعال المزيدة وأوزانها الصرفية،وما يدل على لزومها وتعديتها.
- الأسماء المشتقة: (اسم الفاعل ومبالغته ، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان ، وأسماء الآلة ، واسم التفضيل ، والصفات المشبهة).
- المصادر السماعية للأفعال الثلاثية المجردة.
- المصادر القياسية للأفعال الثلاثية المزيدة وللأفعال الرباعية المجردة والمزيدة.

وأما في **التصريف** فهو يحلل:

- الأفعال (المجردة و المزيدة) عند إسنادها إلى جميع الضمائر (ضمائر المتكلم و المخاطب والغائب)، في صيغة الماضي والمضارع (مرفوعاً ومجزوماً ومنصوباً ومؤكداً) والأمر (مؤكداً وغير مؤكد). وذلك في حال بناء الفعل للمعلوم وبنائه للمجهول.
- الأسماء المشتقة والمصادر مفردة ومثناه ومجموعة, مذكرة ومؤنثة, وذلك في جميع حالاتها الإعرابية (الرفع والنصب والجر), مع مراعاة الاسم من حيث تنكيره وتعريفه وإضافته.

ويمتاز هذا النظام بما يأتي:

- استيعابه جميع جذور العربية, فقد حوى:
  (7820) جذر ثلاثي ورباعي.
  (23655) فعل ثلاثي ورباعي, مجرد ومزيد.
  (11970) مصدر سماعي.
- قدرته على توليد جميع الأسماء المشتقة والمصادر القياسية.
- استغراقه جميع أبوب النحو والصرف المتعلقة بالاشتقاق وبتصريف الأفعال والأسماء, وكذلك قواعد التصريف المشترك (الإعلال, والإبدال, والإدغام).
- قدرته على رسم الهمزة وفق قواعد رسمها.
- ضبطه التام للكلمات بالشكل.
- سهولة التعامل معه وسرعة تنفيذه[37].

2. تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب:

وهي مجموعة برامج حاسوبية شاركت في إعدادها مع فريق من الباحثين في مركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يختص كل منها بدرس من دروس قواعد العربية, كالأفعال الخمسة, والحال, وكان وأخواتها...وقد تم إعدادها على نحو يتوافر فيه صفة الإنتاج الجيد علميا وتربويا وفنيا, واستخدمت فيها تقنيات الوسائط المتعددة (Multimedia) وروعيت فيها النقاط الآتية:

- السهولة والوضوح, واجتناب كل استثناء أو شذوذ.
- العرض الشائق والتفاعل المتواصل.
- الإكثار من الأمثلة والشواهد.
- التدريبات والاختبارات مع التصحيح ومنح الدرجة المستحقة.
- تزويد كل درس بمكتبة يطلع الطالب من خلالها على عدة كتب تناولته.
- تزويد كل درس بفلم فيديو[38].

---

[37]) أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية 25 وما بعدها.

[38]) تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب, في سجل الندوة العلمية الثالثة حول واقع المعلوماتية في سورية.

ج- مواقع الشابكة (الإنترنت)

ثمة مجالات كثيرة تستخدم فيها الشابكة (الإنترنت) لتوفير الخدمات للمكتبة الإلكترونية، ومن أهمها:

1 - المصادر الإلكترونية كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والموسوعات المختلفة، والمعجمات...

2 - المجلات والصحف الإلكترونية العامة والمتخصصة.

3 - فهارس المكتبات العالمية، حيث توفر أكثر من ألف مكتبة وطنية وجامعية فهارس على (الإنترنت)، هذا بالإضافة إلى الببليوغرافيات والكشافات المختلفة.

4 - تطوير مجموعات المكتبة ومقتنياتها من خلال التزود الإلكتروني عن طريق الاتصال المباشر بدور النشر.

5 - البحث عن أي مجال معرفي عن طريق محركات البحث.

6 - تقديم خدمات مرجعية سريعة وواسعة ودقيقة[39].

وتحظى العربية بنصيب لا بأس به في مواقع الشابكه الإنترنت_ وإن كان صغيرا بالقياس إلى مواقع اللغات الأخرى ولا سيما الإنجليزية_والمتصفح لها يتقلب بين مواقع الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض حتى ليغلب على الظن أنه ما من فن من فنون اللغة إلا وأنت واجد له حيزا ما في هذه الشابكة, وتوفر لك محركات البحث خدمه سريعة للوصول إلى طلبتك, فما هو إلا أن تحدد ما تريد بكتابته على محرك للبحث كمحرك (googol) حتى تحظى بسيل من المواقع التي ورد فيها ما حددت, ومن ثم تعمد إلى استعراضها واحدة واحدة لتميز سمينها من غثها وتحظى منها بما تريد وتصل إلى ما تبغي, سواء كان ذلك بيتا من الشعر, أو علما من الأعلام, أو مسألة من المسائل, ناهيك عن البحث عن آية كريمة, أوحديث شريف, أو خبر من الأخبار, أوما يتصل بذلك من أمور.

إن مواقع العربية على الشابكه لا تقتصر على عرض المادة اللغوية أو وضع مصادر اللغة وأمات الكتب العربية والمعجمات في داخلها, بل تتعدى ذلك كله إلى مواقع تعليمية

---

[39]) البحث العلمي 287 .

تعلم فنون اللغة والأدب, فمن فن العروض إلى فن الكتابة والإملاء والنحو والبلاغة والشعر وغير ذلك.

بل إن الجامعات الافتراضية والمفتوحة باتت تعتمد الشابكة مصدرا رئيسيا من مصادر التعليم فيها, إذ تشتمل مواقعها على مقررات علمية تكاد تغني الطالب عن حضور المحاضرات التقليدية بما تشتمل عليه من محتوى المقرر, ووجوه التفاعل معه, ومع مدرّسه وزملاء الدراسة فيه.

وسأعرض فيما يأتي لأمثله من بعض المواقع المعنية بالعربية ومصادرها مع نبذة بسيرة عن كل منها, أختمها بنبذة عن تعليم العربية في الموقع التعليمي للجامعة العربية المفتوحة التي أتولى فيها رئاسة مقررات اللغة العربية :

- **الموسوعة الشاملة:**

نعت هذا الموقع بأنه أضخم محرك بحث في الكتب الإسلامية والعربية, إذ يشتمل على أكثر من 3300 كتاب, وزعت في أقسام للبحث تناولت القرآن وعلومه وتفاسيره, والحديث ومتونه ورجاله, والعقيدة والفقه والفتاوى, وعلوم العربية والمعاجم وكتب الأدب, والسيرة والتاريخ والتراجم والطبقات....إلخ

- **الوراق:**

نعت هذا الموقع بأنه أكبر مكتبة عربية تراثية على الإنترنت, وهو يشتمل على مئات الكتب في شتى العلوم والفنون العربية.

- **مكتبة مشكاة الإسلامية:**

يشتمل هذا الموقع على 2647 كتاب, فضلا عن المقالات والدروس والفتاوى.

- **المنبر التعليمي للجامعة العربية المفتوحة** (Arab Campus E-Learning System):

وهو موقع إلكتروني خاص بالجامعة العربية المفتوحة وفروعها الستة (في الكويت ولبنان والسعودية والأردن والبحرين ومصر) يشتمل على نظام تعليمي متكامل لمقررات الجامعة المختلفة, يتيح للطالب التفاعل مع أجزائه المتنوعة, والاطلاع على مقررات الجامعة المطلوبة من خلاله, وتعلم وحدات كل مقرر وفق التقويم الجامعي المتبع, وسؤال المدرس عن كل ما يعرض له من مشكلات, والتحاور مع زملائه ومدرسه في المنتدى

المخصص لذلك, وتقديم الواجبات في مواعيدها المحددة, وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وأستاذ المقرر.

كما يتيح للمدرس أن يدخل عبره إلى شعبه المختلفة, ويتعرف إلى طلابه, ويخاطبهم, ويجيب عن تساؤلاتهم, ويتابع نشاطاتهم, ويقبل واجباتهم, ويصححها, ويقومها, وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وطلبة المقرر.

عاشرًا: عرض روائع العربية

من بيان ساحر... وإيجاز باهر... وثراء نادر...

أ- البيان الساحر

قال ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول.

وقال الجاحظ في حدِّ البيان: البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى.

وقال أمير الشعراء شوقي في جمال العربية:

إِنَّ الَّذي مَلَأَ اللُغاتِ مَحاسِناً جَعَلَ الجَمالَ وَسَرَّهُ في الضادِ

وبعد...

فلبيان العربية أثر لا يدانيه أثر، إنه سحر عجيب، يرفع ويخفض، يجرح ويأسو، يصنع الأعاجيب.

ألم يأتك نبأ القوم الذين كانوا يعيرون باسم غلب عليهم وعرفوا به، وهو (أنف الناقة) فجعل منه الحطيئة شرفا لا يعدله شرف، حين قال في حقهم:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهمُ ومن يسوّي بانف الناقة الذنبا

على حين نزل جرير بآخرين إلى درْك ما دونه درْك حين قال في حق شاعرهم:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

إنه البيان الذي جعله المولى عز وجل على رأس آلائه التي امتن بها على خلقه من الإنس والجن، وقرنه بنعمة الخلق حيث قال: {الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } (الرحمن 1- 4)

وحسبك به من نعمة توصل إلى نعم كثيرة، وهل يدرك القرآن إلا بالبيان؟ أو يوصل إلى الإيمان إلا بالبيان؟ أو يحمد الرحمن إلا بالبيان؟

بل هل يتواصل الإنسان إلا بالبيان؟ أو يعبر عن أرق مشاعره وأحاسيسه إلا بالبيان؟.

إن البيان إذا ما رضي أرضى الناس جميعا وداخَلَ الضمائر والقلوب:

إذا ما صافحَ الأسماعَ يوماً تبسَّمَتِ الضَّمائرُ والقلوبُ

وإذا ما غضب أو سخط أسخط كل من يسمعه وخلّف جرحا لا يندمل:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

إنه الكلام الذي يمتزج بأجزاء النفس لطافةً.. وبالهواء رقةً .. وبالماء عذوبةً.. إذا ما سمعته فكأن السحر يدِبّ في جسدك.

ولا غرو فقد وصفه بذلك أفصح من نطق به، وهو رسولنا المعظم صلى الله عليه وسلم حيث قال:" **إن من البيان لسحرا**".

ب – الإيجاز النادر

عرِّفت البلاغة قديما بأنها الإيجاز، وقد وردت في ذلك أخبار، ورويت في ذلك شواهد وأشعار، أقتصر منها على إيماءات موجزة تشير إلى معنى الإيجاز وأهميته، لأنتقل بعدها إلى سرد شواهد مختلفة للبيان والإيجاز، في بعض فنون العربية:

قال معاويةُ لصُحار بن عيّاش العبدي(وهو من كبار الخطباء والبلغاء):

ما تعدُّن البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز.

قال له معاوية: وما الإيجاز؟

قال صُحار: **أن تُجيب فلا تبطئ، وتقولَ فلا تخطئ،**

فقال له معاوية: أوكذلك تقول يا صُحَار؟

قال صُحار: أقِلْني يا أمير المؤمنين، ألا تُبْطِئ ولا تُخْطئ.

وفي رواية: قال: مثل ماذا؟ قال: مثل هذا.

فانظر كيف أوجز وأعجز!! فما أسرع جوابه وما أحسن صوابه!!

و قال الجاحظ:

أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه.

وفيما يأتي نماذج من روائع البيان والإيجاز:

- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل 90)

هذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن الكريم، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له:

يا ابن أخي، أعد، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها عليه، فقال له:

"إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر ،وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما هو بقول البشر."

وقد ذكر علماء البلاغة في هذه الآية عشرة أنواع من المحسنات البديعية، منها صحة التقسيم، والطباق والمقابلة، والائتلاف وحسن والبيان، والإيجاز

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذه الآية الإيجاز، إذ أمر فيها رب العزة بكل معروف، ونهى عن كل منكر، ليختم بأبلغ موعظة.

قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل، ولشر يجتنب.

وأخرج البيهقي في الشعب عن الحسن أنه قرأ هذه الآية : { إِنَّ الله يَأْمُرُ بالعدل والإحسان . . . } إلى آخرها ، ثم قال : إن الله عزّ وجلّ جمع لكم الخير كله ، والشرّ كله ، في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلاّ جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلاّ جمعه .

- **جوامع الكلم**

وهي أحاديث نبوية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني

فمن ذلك ما جرى مجرى المثل وروته كتب الأمثال كمجمع الأمثال للميداني، وفيما يأتي مجموعة منها:

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

كلكم راع ومسؤول عن رعيته.

نعمتان مغبون فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ.

- عمر بن الخطاب:

– كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:

" خذ الناس بالعربية فإنها تزيد في العقل وتثبت المُروءة".

- علي بن أبي طالب

(قيمة كل امرئ ما يحسنه)

- خالد بن صفوان:

– قال خالد بن صفوان لفتى بين يديه:

"رحم الله أباك إن كان ليملأ العينَ جمالاً والأذنَ بياناً"

وقال أيضا

" ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أوبهيمة مرسلة, أو ضالة مهملة"

- عمر بن عبد العزيز

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير العراق:

"أما بعد فقد كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت".

ويقودنا هذا إلى ذكر مواقف رائعة يرويها الرواة، و يتبدى فيها الارتجال في الشعر في أجمل صوره:

- **ابن عباس**

روى الزبير بن بكار قال: استنشد عبد الله بن عباس – رضوان الله عليه – عمر بن أبي ربيعة فأنشده:

تشط غداً دار جيراننا

فبدره ابن عباسٍ، فقال:

وللدار بعد غدٍ أبعد

فقال له عمر: كذلك قلت، أصلحك الله! أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي أن يكون.

- **أبو تمام**

أخبار أبي تمام مع أحمد بن المعتصم

حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال، حدثني أبي قال، شهدت أبا تمامٍ ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ تَقْضِي ذِمامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أنْ تُعِينَ بِمَائِهَا وَالدَّمْعُ مِنهُ خَاذِلٌ وَمْوَاسِي

والناس يروون هذا – أن تعين بمائها– وهو تصحيف، فلما قال:

أَبْلَيتَ هذَا المِجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَأَكرَمَ شِيمةٍ ونِحَاسِ

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

قال له الكندي، وكان حاضراً وأراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالبَاسِ

فالله قد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً منَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

ج - الثراء النادر:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

قال المستشرق الألماني فرنباغ :" ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبيّن ما وراءه إلاّ بصعوبة"[40].

وسأكتفي بالإشارة إلى مثالين من أمثلة الثراء النادر:

1 – الترادف:

و لاريب أن معجمات المعاني، وهي من مفاخر التأليف المعجمي العربي، تعد المرتع الخصب للمترادف من الكلام العربي، إذ هي تعنى بسرد الألفاظ المناسبة للمعاني، فتسرد عشرات الألفاظ لمعنى ما موضحة الدلالات الدقيقة لاختلافها، ولعل أعظم معجمات المعاني معجم المخصص لابن سيدة وهو في سبعة عشر جزءًا، تنطق كل صفحة فيها بمقدار سعة العربية وثرائها. وأما المعجم الأشهر في هذا الباب فهو فقه اللغة للثعالبي، وفيما يأتي نموذج منه يعرض لأفعال النظر عند الإنسان باختلاف هيئاته:

الفصل الثالث عشر في تفصيل كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله

إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه قيل **رمقه**.

فإن نظر إليه من جانب أذنه قيل **لحظه**.

فإن نظر إليه بعجلة قيل: **لمحه**.

فإن رماه ببصره مع حدة نظر قيل: **حدجه بطرفه**، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم.

فإن نظر إليه بشدة وحدة قيل: **أرشقه وأسف النظر إليه**. وفي حديث الشعبي أنه كره أن يسف الرجل نظره إلى أمه وأخته وابنته.

---

[40] الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 303.

فإن نظر إليه نظر المتعجب منه والكاره له والمبغض إياه قيل: **شفنه وشفن إليه** شفوناً وشفناً.

فإن أعاره لحظ العداوة قيل **نظر إليه شزراً**.

فإن نظر إليه بعين المحبة قيل: **نظر إليه نظرة ذي علق**.

فإن نظر إليه نظر المستثبت قيل: **توضحه**.[41]

2 – أسماء ساعات الزمن

من بديع ثراء العربية وغناها وسعتها ودقتها وعنايتها بالزمن أنك تجد فيها لكل ساعة من ساعات الزمن في الليل والنهار اسما متميزا تعرف به، فقد أورد الثعالبي في كتابه النفيس فقه اللغة الفصل الآتي:

في تعديد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين لفظة

عن حمزة بن الحسن وعليه عهدتها

ساعات النهار:

الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى،ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب.

ساعات الليل:

الشَّفق، ثم الغَسَق، ثم العَتَمَة، ثم السُّدْفَة، ثم الفَحمة، ثم الزَّلة، ثم الزُّلْفة، ثم البُهْرة، ثم السَّحَر، ثم الفَجْر، ثم الصُّبْح، ثم الصباح.

وباقي أسماء الأوقات تجيء بتكرير الألفاظ التي معانيها متفقة.

ويلاحظ أن أسماء الساعات هذي تشتمل على أوقات الصلوات الخمس.{إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا}.[42]

---

41 فقه اللغة للثعالبي، والفصل طويل اقتصرت على إيراد طرف منه.

42 الزمن في اللغة. مقال في مجلة التقدم العلمي العد71 ديسمبر 2010 ص40.

حادي عشر: التفنن في تدريس علوم اللغة

لكل علم من علوم اللغة أفانين يمكن للمعلم أن يصطنعها ويتوسل بها إلى عقول الطلبة ومداركهم، وفيما يأتي أمثلة من ذلك:

أ- الصرف

- **أنموذج لدرس اللفيف المفروق**[43]

حكى السيوطي في (البغية) أن أبا حاتم السجستاني[44] دخل بغداد فسُئل عن قوله تعالى : {قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ }[45] , ما يقال منه للواحد ؟ فقال : قِ , فقال : فالاثنين ؟ فقال : قيا . قال فالجمع ؟ قال : قوا , قال : فاجمع لي الثلاثة , قال : قِ , قيا , قوا .

قال وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش , فقال لواحد : احتفظ بثيابي حتى أجيء , ومضى إلى صاحب الشُّرطة , وقال : إني ظفرت بقومٍ زنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك . فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشُّرطة فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشُّرْطة , فسألنا فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر وقد اجتمع خلق من خلق الله , ينظرون ما يكون , فعنَّفني وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ! وعمَد إلى أصحابي فضربهم عشرة عشرة , وقال : لا تعودوا إلى مثل هذا , فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً , ولم يُقِمْ ببغداد ولم يأخذ عنه أهلها[46] .

فعل وقى وأمثاله عند الإسناد

---

43 من مقال لي بعنوان ما بني من الأفعال على حرف واحد. انظر كتابي تحت راية العربية302 – 304.

(44) الإمام العلامة سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ثم البصري', مقرئ نحوي لغوي', أخذ عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي ويعقوب الحضرمي', وتصدّر للإقراء والحديث والعربية'. حدّث عنه أبو داود والنسائي وعدد كثير', وتخّرج به أئمة منهم المبرد', وله باع طويل في اللغة والشعر والعروض واستخراج المعمّى'. خلّف آثاراً كثيرةً منها': إعراب القرآن', والمقصور والممدود', وما يلحن فيه العامة', والقراءات', واختلاف المصاحف'. وكان يقول قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين'. توفي سنة 255هـ', سير أعلام النبلاء 268/12 . 270'. وانظر طبقات النحويين واللغويين للزُّبيدي 94 . 96', وبغية الوعاة 606/1'.

(45) التحريم': 6'.

(46) بغية الوعاة 606/1

سقت هذه القصة لأتوقف عند فعل (’وقى’) وما لفَّ لفّه مما يسمّى في العربية باللّفيف المفروق’, إذ تحذف مه فاؤه لدى تصرّفه في المضارع كما تحذف من المثال الواوي > كوعد يعِد , وورد يرِد < لوقوعها بين عدوتيها الياء المفتوحة والكسرة فيصير : (يقي) ثم يُبنى على حذف حرف العلة من آخره لدى تصرفه في الأمر كما يُبنى كل معتل ناقص كـ (اسعَ , وامشِ , وادنُ) فيصير (قِ) أي إنه يبقى على حرف واحد هو عين الكلمة .

وقد جمع هذه الأفعال ابن مالك صاحب الألفية مبيّناً كيفية إسنادها للواحد المذكر , ثم المثنى مطلقاً , ثم الجمع المذكر , ثم الواحدة ثم جمعها , وذلك في عشر أبيات طريفة . ليست من الألفية . يقول فيها :

إنّي أقــولُ لمــنْ تُرجــى مودَّتُــهُ		قِ المستجير قياهُ قُوهُ قِي قِينَ
وإنْ صرفتَ لوَالٍ شُغْلَ آخرَ قُلْ		لِ شُغْلَ هذا لِياهُ لُوهُ لِي لِينَ
وإنْ وشَى ثوبَ غيري قلتُ في ضجرٍ		شِ الثوبَ وَيْكَ شِياهُ شُوهُ شِي شِينَ
وقُلْ لقاتِل إنسانٍ على خطأٍ		دِ مَنْ قتَلْتَ دِياهُ دُوهُ دِي دِينَ
وإنْ همُ لمْ يَرَوْا رأيي أَقُولُ لهمْ		رَ الرأيَ وَيْكَ رَياه رَوْه رَيْ رَيْنَ
وإنْ همُ لمْ يَعُوا قوْلِي أَقُولُ لهمْ		عِ القولَ مِنِّي عِياهُ عُوهُ عِي عِينَ
وإن أمَرْتَ بِوَأْيٍ للمُحِبِّ فقلْ		إِ مَنْ تُحِبُّ إياهُ أوهُ إِي إينَ
وإنْ أردْتَ الوَنَى وَهْوَ الفُتُورُ فقلْ		نِ يا خَلِيلِي نِياهُ نُوهُ نِي نِينَ

وإنْ أبَى أن يَفِـــي بالعهـــدِ قلـــتُ لَـــهُ		فِ يا فـــلانُ فِيـــاهُ فُـــوهُ فِي فِـــينَ
وقُـــلْ لســـاكِنِ قلْـــبِي إنْ سِـــوَاكَ بِـــهِ		جِ القلبَ مِنِّي جِياهُ جُوهُ جِي جِينَ[47]

ذكر هذه الأبيات الشيخ الخضري في حاشيته على ابن عقيل ثم أردفها بالقول : > فهذه عشرة أفعال كلها بالكسر إلا (رَ) فيفتح في جميع أمثلته لفتح عين مضارعه , وكلها متعدية إلا (نِ) فلازم لأنه بمعنى تأنَّ . فالهاء في نِيَاه هاء المصدر لا المفعول به <[48] .

ب- العروض

- **العلاقة بين العروض والنغم والإيقاع[49]**

ما درّست العروض مرة إلا كان اللحن والغناء والإيقاع والإنشاد وسيلتي إلى تقريبه وتفهيمه وتيسيره وإتقانه، وأنا أردد للطلبة: العروض علم إرهاف الآذان وإتقان الألحان'، يتطلب أول ما يتطلب ذوقاً سليماً وأذناً مرهفةً تميز الإيقاع الصحيح من الإيقاع المختل، والنغم المنضبط من النغم النشاز.

ولم أكن في ذلك بدعا فعلم العروض ما نشأ مذ نشأ إلا في كنف الغناء والإيقاع، حتى إن الرواة رووا أن صاحبه ومنشئه الخليل بن أحمد ولدت في ذهنه فكرته في سوق النحاسين وعلى وقع مطارقهم (تك تك تتتك). بل إن حسَّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

([47]) حاشية الخضري على ابن عقيل 31', وحاشية تشويق الخلان على شرح الآجرّومية 94', والفضل في تنبيهي على هذه الأبيات ومصدرها ينصرف إلى شيخنا العلامة محمد صالح الفرفور رحمه الله تعالى وجزاه الجزاء الأوفى'.

([48]) حاشية الخضراوي 31'.

[49] من بحث لي بعنوان : إحياء العروض . نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشقن المجلد 73، الجزء الثالث. وانظر كتابي تحت راية العربية ص 228 – 238.

تغنَّ بالشِّعْرِ إمّا كنتَ قائلهُ		إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ

والعلاقة بين الشعر وبين الموسيقى والنغم والإيقاع علاقة وثيقة لا تكاد تخفى على أحدٌ، وأمثلتها في أدبنا القديم أكثر من أن تحصى أو تستظهر.

ولعل من أبرز مظاهرها الحُداء الذي كانت تساق به الإبل فإذا ما أسرع الحادي أسرعت الإبل، وإذا أبطأ أبطأت، ومنه الحديث المشهور الذي رواه البخاري في صحيحه: "ارْفُقْ يا أنجشةُ ويحك بالقوارير" يريد أن يبطئ وقع الحُداء لتبطئ الإبل وقع المسير.

ومن نحو هذا ما يروى عن النابغة حين أقوى في شعره فلم ينبهه على ذلك إلا تغني الجواري ومدّهن الصوت بحركة حرف الروي وهو الدال في قوله:

زعم البوارحُ أنَّ رحلتنا غداً		وبذاكَ خبَّرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به		إن كانَ تفريقُ الأحبةِ في غدِ

ولأهمية عنصر الموسيقى في الشعر قيل: الشعر موسيقى، وقال النقاد عن البحتري: أراد أن يشعر فغنَّى. ولا أدلّ على ذلك أيضاً من كتاب الأغاني الذي رمى منه مصنفه إلى جمع أشهر أغاني عصره فجاء سجلاً ضخماً لأشعار العرب وأخبار الشعراء والمغنّين على حدٍّ سواء.

وفيما يلي جدولٌ يوضّح مفاتيح أشهر البحور من الأغاني والأناشيد المختارة:

اسم البحر	مفتاحه	ملاحظات
المتدارك	يا ليلُ الصبُّ متى غدُهُ مُضناك جفاهُ مرقدُهُ يا صاحِ الصبرُ وهى منّي رمضان تجلَّى وابتسما	أداء فيروز الموسيقار محمد عبد الوهاب صباح فخري إنشاد توفيق المنجد
المتقارب	حماة الديار عليكم سلام	النشيد السوري

الرمل	قسماً بالنازلاتِ الماحقات والذي أسكَرَ من عَرْفِ اللمى يا غزالي كيفَ عنّي أبعدوك	النشيد الجزائري موشح لصباح فخري موشح لصباح فخري
الوافر	سكابا يا دموع العين سكابا	موشح لصباح فخري
البسيط	مولاي صلِّ وسلمْ دائماً أبداً عالروزنا عالروزنا كل الهنا فيها	البردة للبوصيري أغنية لفيروز
الرجز والكامل	صلّوا عليه وسلّموا تسليما الله أكبرُ فوقَ كيدِ المعتدي	نشيد ديني النشيد الليبي
الهزج ومجزوء الوافر	بلادُ العربِ أوطاني	نشيد قومي معروف

هذا وقد نشر مؤخرا في هذا الفن كتاب جليل بذل صاحبه فيه الوسع لهذه الغاية أعني تيسير العروض بتعزيز ملكة السماع لدى الناشئة، والارتقاء بذوقهم الموسيقي.

أما الكتاب فيحمل عنوان: (العروض السماعي- شعر مغنى). وأما المؤلف فهو الأخ الصديق الدكتور جمال قباني، المدرس في جامعة لكويت.

والحق أن في الكتاب جهداً كبيراً، رمى فيه المؤلف إلى تذليل الصعوبات التي تكتنف هذا العلم، حين ربط بينه وبين ما أنشد أو غني من الشعر قديمه وحديثه، مجتنبا الخوض في كثير من مصطلحات هذا العلم التي باتت عبئا على المتعلمين لاتزيدهم فيه إلا جهلا، ولا تمنحهم منه إلا بعدا.

وقد عمد المؤلف إلى تقديم البحور متدرجا من أيسرها وأبسطها، أعني ذات التفعيلة الواحدة، كالمتدارك والمتقارب، وصولا إلى البحور المركبة ذات الأجزاء المختلفة كالخفيف

والمنسرح. وأحسن إذ فصل بين تفعيلات البيت بلون مختلف ليقف القارئ بين اللون واللون وقفة ترسخ في أذنه التقطيع المطلوب للبيت، دونما حاجة إلى تلك الإشارات والفواصل والتقطيعات التي تغص بها كتب العروض.

على أن أجلَّ ما صنعه المؤلف – وكل ما صنعه جليل ومفيد – ذلك القرص المرفق الذي حوى نحوا من ألف وخمسمئة ملف مسموع ومقروء، يجد فيها الطالب مئات القصائد المغناة أو المنشدة أو الملقاة بأعذب الحناجر وأجمل الألحان وأجود الإلقاء، وقد صنف كل منها بحسب البحر الذي ينتمي إليه، فجاءت جامعة لبحور الشعر المعروفة، بل هي موسوعة للشعر المغنّى، وهي لعمري خير ما يمكن أن يوصِل إلى إتقان فن العروض، بعد أن بات عصيّا على الفهم، صعبا على الإدراك، لا يكاد يتقنه إلا من رحم ربي من عشاق العربية وسدنتها، وقليل ما هم.

2 . الإيقاع:

كل شعر . بل كلّ كلام . يتألف من حروف متحركة وأخرى ساكنة، فإذا ما اقترن الحرف المتحرك بالحرف الساكن ألّفا مقطعاً واحداً طويلاً نحو': قا'، لَمْ'، في'، عن'... إلخ'.

وإذا اقترن المتحرك بالمتحرك ألَّفا مقطعين قصيرين نحو': لَهُ'، بِكَ'...إلخ'.

ويمكن أن تتابع الحروف المتحركة فتكوِّن كلها مقاطع قصيرة إلى أن يأتي حرف ساكن فيؤلف مع ما قبله مقطعاً طويلاً نحو':

كَتَبَ / كَتَبَهَا / نُوحِيهَا

تِتِتِ / تِتِتِتِكْ / تِكْ تِكْ تِكْ

3 مقاطع قصيرة /3 مقاطع قصيرة + مقطع طويل/ 3 مقاطع طويلة

والإيقاع يقتضي أن نقابل كل حرف متحرك بنقرة وكل حرف ساكن بعدم النّقرة'، فإذا تتابعت الحروف المتحركة تتابعت النقرات'، وإذا جاء الساكن انقطعت'، وهكذا يمكن أن تكون التفعيلة': **>'فاعلن'<** مقابلة للنقرات': تِكْ تِتِكْ'. و**>'فعولن'<** مقابلة للنقرات': تِتِكْ تِكْ'. ('التاء هنا تقابل الحرف المتحرك والكاف تقابل الحرف الساكن')'،

فإذا أخذنا المثال الآتي':

زرنا يومـــــاً قومـــــاً عـــــرباً		قـــالوا أهـــلاً ســـهلاً رحبـــاً

وقرأناه ببطءٍ مع الإيقاع وجدنا إيقاعه أو نقراته على النحو التالي':

زرنا يوماً قوماً عربا

تك تك تك تك تك تك تك تك

قالوا أهلاً سهلاً رحباً

تك تك تك تك تك تك تك تك

وهو أمر نصنعه بطبيعتنا كلما سمعنا كلاماً موزوناً أو ملحّناً'، فالحركة تقابلها النقرة والسكون يقابله السكون'.

وإذا أخذنا بيتاً آخر':

شـــــعر نثـــــر علـــــم أدب		قلـــــب فكـــــر نـــــور أرب

وقرأناه إيقاعاً وجدنا له الإيقاع نفسه مع اختلاف الجزء الأخير من كل شطر وهو ('أدَبٌ وأَرَبٌ') فإيقاع كل منهما ('تِتِتِك تِتِتِكْ') خلافاً لإيقاع سائر البيت ففي كل منهما مقطعان قصيران ومقطع طويل'.

وهكذا تختلف الإيقاعات باختلاف التفعيلات'. ومن المعلوم أن التفعيلات ثمانٍ': أربعٌ أصولٌ يتفرّع عنها أربعٌ فروعٌ'، وذلك بقلب الأصول على النحو التالي':

فعو لن مفا عيلن مفا علتن فاع لاتن

فا علن مستفـ علن متفا علن مفعو لاتُ

فإذا شفعناها بإيقاعاتها كانت على النحو التالي':

التفعيلة	إيقاعها	التفعلية	إيقاعها
فعولن	تِتِكْ تِكْ	**فاعلن**	تِكْ تِتِكْ
مفاعيلن	تِتِكْ تِكْ تِكْ	**مستفعلن**	تِكْ تِكْ تِتِكْ
مفاعلتن	تِتِكْ تِتِتِكْ	**متفاعلن**	تِتِتِكْ تِتِكْ
فاعلاتن	تِكْ تِتِكْ تِكْ	**مفعولات**	تِكْ تِكْ تِكْ تِ

ولعل من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن ما يعتور التفعيلات من تغيرات بالنقصان أو الزيادة'، يقابله تغير بقدره في الإيقاع'، مثل': فَعُولُ يقابله': تِتِكْ'تِ'، ومفاعِلُن يقابلها': تِتِكْ تِتِكْ.. وهكذا. وبذلك لا يقتصر الإيقاع على تقطيع البيت . بعد معرفة بحره غناءً . وإنما يعين إلى ذلك على تحديد ما اعتراه من جوازات'، وما أصابه من علل وزحافات.

ج– البلاغة:

انتقاء الشواهد بعناية، ومحاوله تقريبها من واقع الحياة والأمثال العامية المعروفة. وفيما يأتي أمثلة لبعض أنواع البلاغة تدل على ما وراءها:

– الجناس

طرقت الباب حتى كلَّ متني فلما كلَّ متني كلمتني

فقالت لي أيا اسماعيلُ صبرا فقلت لها أيا اسما عيلَ صبري

– التشبيه

أنت كالكلب في حفاظك للود د وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمتك دلوا من كبار الدلي ضخم الذنوب

– الكناية

من أفضل سبل تعليم الكناية للطلبة تذكيرهم ببعض الكنايات العامية التي نشؤوا على معرفتها ودارت على ألسنتهم وأسماعهم منذ نعومة أظفارهم، ولعل خير ما ألف في هذا الباب كتاب (كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء) للأستاذ منير كيَّال

فقد حوى مئات التعابير العامية التي سرت مسرى الأمثال وحوت فنون البلاغة المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية وفي ذلك يقول مؤلفها:

" فوقفت بذلك على كثير من هذه الكنايات التي سرت على لسان الناس مسرى الأمثال وجعلوا منها محطّ الشاهد في أحاديثهم على سبيل الاستعارة والكناية والموازنة والتشبيه سواء في حالات المديح والتبجيل أم في حالات القدح والذمّ والتصغير والتحقير أو النصح والإرشاد"[50].

وفيما يأتي نماذج من هذه التعابير:

- **آخر العنؤود:** يكنّى بها المولود الأصغر بين الأشقّاء. وهم يعدّون أن: أحبّ الأولاد إلى الأبوين: الصغير حتى يكبر والغائب إلى أن يعود، والمريض حتى يبلّ من مرضه.
- **أكل أصابيعه ندامة:** كناية عمن يحصد الندامة على ما بدر منه أو صدر عنه من خطأ في حق نفسه وحق الآخرين، مما يستوجب الحسرة والندامة.
- **الحسن أخو الحسين:** كناية عن المقاربة بين موقفين أو شخصين كانا على غير وفاق وتفاهم لإحلال التصافي والتسامح والوئام والمحبة بينهما.
- **الدنيا أخِد وعطا:** «أخذ وعطاء» كناية عن تبادل المنافع والأخذ والعطاء في التعامل.
- **حامل السلّم بالعَرض:** من يحشر نفسه في كل أمر، ويعترض على كل حلّ أو تسوية حباً في الظهور وعلى مبدأ خالف تُعرف.
- **صافي يالبن:** كناية عن صفاء الأمور وانفتاح القلوب بين جانبين لم يكونا على وفاق.
- **ضاعت الطاسة:** ضربت الفوضى أطنابها واختلط الحابل بالنابل، فلم يعُد المرء يعرف رأسه من رجليه. وأصبح الوضع مثل وضع حمّام النسوان الشعبي إذا انقطع الماء عنه.

على هامان يا فرعون: كناية عن عدم جدوى اللفّ والدوران وتحميل الأشياء أكثر من قدرتها، والإكثار من الادّعاء والتفاخر أمام من يعرف حقيقة ذلك. وهم يتبعون

---

50 كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء ص 2

ذلك بإقصوصة مقام الشيخ زنكي. الذي كان في الأصل قبر حمار دفنه صاحباه وجعلوا له مقاماً يقصد وتقدّم له النذور. فلما تعالى أحدهما على صاحبه بكرامات الشيخ زنكي «قبر الحمار» قال له صاحبه، كفى نحن دافنينه سوا «سوية».

لا من تمّه.. ولا من كمّه: «فمه» عنوا بذلك المريض الذي يشتدّ عليه المرض فيخلد إلى السكينة عن ما حوله.. ومن أخذته الحجّة وغلبته الحيرة فأرتجّ عليه.

لا هابوب ولا دابوب: كناية عن خلوّ المكان فلا من يهبّ ولا من يدبّ.

– **مِثِل زبديّة الصيني:** ويضيفون إلى ذلك قولهم: من وين ما بترنّها بترِنّ" شبهوا المرأة التي على درجة عالية من النشاط والهمّة في إنجاز ما بيدها على أكمل وجه والتي لا يعيقها عائق بالإناء "تبسة أو زبدية". الصّيني الفائق الجودة.

نشف لسانه: كناية عمن أعيته المحاولات في إقناع صاحبه فلم يفلح، وقد يستعيضون عن اللسان بالريق، اللعاب. للأمر نفسه[51].

الخاتمة

لعل خير ما أختم به هذا البحث تلك الوصية التي وصّى بها عُتبة بن أبي سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه، فهي تعدل وزارة تربية بما اشتملت عليه من أحكام وأصول، فقد بدأت بإصلاح المعلم، ثم أمرت بكل نافع مفيد للطالب، ونهت عن كل ضارّ مفسد له، لتختم بإكرام المعلم، وفيما يأتي نصها:

قال عُتبة بن أبي سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه:

[51] كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء . والكنايات مرتبة فيه معجميا.

ليكن أوَّلَ ما تبدأُ به من إصلاحك بَنِّي إصْلاحُك نَفسَك؛ فإنَّ أَعينهم معقودة بعينك، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنت، والقبيحُ عندهم ما استقبحت.

علِّمْهم كتابَ اللَّه، ولا تُكرِهْهم عليه فيَملُّوه، ولا تتركْهم منه فيهجُروه.

ثم روِّهم من الشِّعر أَعَفَّه، ومن الحديث أَشْرَفه.

ولا تُخْرِجْهم من عِلْمٍ إلى غيره حتّى يحْكموه، فإنَّ ازدحامَ الكلام في السَّمع مَضَلَّةٌ للفهم.

وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء، وجنِّبْهُم محادَثة النساء.

وتهدَّدْهم بي وأدِّبْهم دُوني، وكنْ لهم كالطَّبيب الذي لا يَعجَل بالدَّواء حتى يعرف الداء.

ولا تَتّكل على عُذري، فإني قد اتَّكلتُ على كفايتِك.

وزد في تأديبهم أزدك في برّي إن شاء اللَّه.[52]

المراجع

- **آداب العلماء والمتعلمين**، الحسين بن المنصور اليمني، المكتبة الشاملة.
- **أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية**, أ.مروان البواب د. محمد حسان الطيان, فصل من كتاب استخدام اللغة العربية في المعلوماتية, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, تونس 1996.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911 هـ)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1384 هـ-1964 م.

[52] البيان والتبين 73-74.

- **البحث العلمي :أسسه.مناهجه وأساليبه.إجراءاته.** د. ربحي مصطفى عليان, بيت الأفكار الدولية, عمان 2001 .
- **البيان والتبيين،** الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ - 1998م.
- **تحت راية العربية،** د. محمد حسان الطيان، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط1، 1428هـ - 2008م.
- **تعلم قواعد اللغة العربية بالحاسوب,** أ. مروان البواب د.محمد حسان الطيان م. محمد مسلم الحمصي. بحث في سجل الندوة العلمية الثالثة حول واقع المعلوماتية في سورية 25-30 نيسان 1995.
- **تفسير القرطبي**
- **ثمرات الأوراق في المحاضرات،** لابن حجة الحموي
- **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل**
- **حاشية تشويق الخلان على شرح الآجرومية**
- **الحيوان** للجاحظ 1/ 58.
- **الزمن في اللغة.** د. محمد حسان الطيان، مقال في مجلة التقدم العلمي العد71 ديسمبر 2010 ص40.
- **العربية وطرائق اكتسابها،** د. محمد حسان الطيان، منتدى النهضة والتواصل الحضاري، الخرطوم، ط1، 1431هـ - 2010م.
- **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ص 2198.
- **غرر الخصائص الواضحة،** للوطواط.
- **الفصحى لغة القرآن** – أنور الجندي.
- **فقه اللغة،** للثعالبي.
- **الكامل،** للمبرد.
- **كتابات في النقد،** د. عبد اللطيف عبد الحليم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م.
- **كنايات الشوام في الألقاب والتخاطب والنداء,** منير كيال، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010.

- **اللغة والمتغير الثقافي** – الواقع والمستقبل، د. عبد الله التطاوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2005م.
- **المحاسن والمساوئ** للبيهقي.
- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء.**
- **المستطرف من كل فن مستظرف** ، للأبشيهي.
- **المستقصى** للزمخشري،
- **معجم الأدباء** لياقوت الحموي
- **مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي،** دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.
- **مقدمة ابن خلدون.**

.